أنا وأنت على الطريق

حرية الاختيار للأولاد

ترى، هل تعطين الحرية لأولادك لكي يختاروا ماذا يريدون أن يكونوا في المستقبل؟ أم أنك ووالدهم تفضلان أن تختارا لهم ما ترونه أنتما مناسبا؟ اسمعي يا سيدتي هذه القصة الحقيقية التي حصلت مع إحدى العائلات :

كان رؤوف طالبا متفوقا في دراسته وكان ذا حس مرهف. فكان يعشق الألوان والرسم ويقضي وقت فراغه في حجرته وسط الألوان ومعدات الرسم. فينسج لوحة رائعة جميلة. وكان حلمه أن يلتحق بكلية الفنون الجميلة ويصبح رساما له معارض في أنحاء العالم.

أما والد رؤوف ووالدته فلقد كانا يحلمان بأن يصبح ابنهما طبيبا وجراحا كبيرا معروفا في العالم. مرت الشهور وأنهى رؤوف الثانوية العامة وكان التفوق حليفه وكانت فرحة العائلة لا توصف. فرؤوف هو الابن البكر لهم، وتضع كل آمالها وطموحها عليه. ولكن الفرحة لم تكتمل. لقد جاء قرار رؤوف ورغبته في الالتحاق بكلية الفنون الجميلة كالصاعقة عليهم. ولكن والده لم يستسلم ورفض أن يلبي رغبة ابنه وصمم على كلية الطب حيث المركز المرموق والأموال الكثيرة كما يظن. عبثا حاول رؤوف أن يقنع والده برغبته ولكن هيهات. لقد كان الأب مشبعا بفكرته ومقتنعا بها وليس عنده أي استعداد أو رغبة في سماع ابنه. بل قال له: أنت الآن صغير لا تعرف مصلحتك. دعني أرسم لك مستقبلك وتأكد أنك ستشكرني فيما بعد. ولكنني يا أبي، أعشق الرسم والألوان، كما أنني لا أطيق منظر الدم ، فكيف لي أن تكون مهنتي في شيء لا أتحمله؟

كلام فارغ ...قال الأب في كلية الطب ستعتاد على هذه المناظر. وهنا انتهت المناقشة. حاول رؤوف أن يُقنع والديه لكن كل محاولاته باءت بالفشل. وبدأ رؤوف في دراسة الطب . وبدأت الأسرة تلاحظ تغييرا عليه. فبعد أن كان اجتماعيا مرحا أصبح منطويا على نفسه . ففسروا ذلك بسبب صعوبة الدراسة.

وذات يوم أغلق الشاب رؤوف باب غرفته بالمفتاح وسمعت الأسرة ضحكات رؤوف تملأ الغرفة وسط ضوضاء شديدة فطرقوا الباب بشدة. ولكنه لم يفتح لهم. فما كان منهم إلا أن كسروا الباب. فوجدوا الحائط مليئا بالسكاكين والمقصات وأدوات أخرى يستخدمها الجراحون في غرفة العمليات. وكان رؤوف واقفا أمامها يضحك بصورة مخيفة. لقد تدهورت حالته النفسية لحد الجنون. ولما استدعى والداه الطبيب أكد لهم أن رؤوف ابنهم الشاب مصاب بانهيار عصبي شديد نتيجة لضغط تعرَّض له. وبعد جلسات عديدة اكتشف الطبيب السبب، وهو أن الشاب رؤوف تحمل ضغوطا فوق طاقته حتى يرضي والديه لكن أعصابه لم تتحمل.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

إن حسه المرهف العاشق للجمال والفن لم يتحمل أن يتعامل مع المقصات والسكاكين .وأكد عندها الطبيب أن حالته متدهورة والأمل في الشفاء ضعيف . ولما سمع الأب والأم ما حصل مع ابنهما ندما جدا على التدخل في مستقبله. لكن هل ينفع الندم؟
ماذا ترانا نتعلم من قصة الحياة الواقعية هذه؟ كأمهات وآباء ينبغي علينا أن لا نجبر أولادنا على اختيار ما نراه نحن مناسبا لمستقبلهم ودراستهم. بل علينا أن نوجه لهم النصيحة والإرشاد وعليهم هم أن يختاروا بحسب ميولهم ومواهبهم. ثم لا نستطيع نحن الأهل يا سيدتي أن نحقق طموحاتنا وآمالنا التي لم نستطع تحقيقها في أولادنا عن طريق إجبارهم عليها.
تعالي معي إلى الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله الحية ، وقد كتبها أناس الله القديسون مسوقين بالروح القدس، إذ نقرأ هذه الآية الهامة في هذا الصدد: **وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره. (أفسس ٦: ٤)**

إذن إن مسؤوليتنا كأمهات وكآباء أن لا نغيظ أولادنا لئلا يفشلوا. ومن الأمور طبعا التي تغيظهم هو تدخُّلنا المستمر في حياتهم وإجبارهم على فعل ما لا يريدون تماما كما فعل الأب والأم مع ابنهم رؤوف في القصة التي شاركتك بها . فعندما نجبر أولادنا على أشياء ضد ميولهم ورغباتهم وحتى مواهبهم الطبيعية بحجة أن هذا لمصلحتهم فنحن إنما نغيظهم وبالتالي تكون النتيجة فشل أولادنا في حياتهم. عندها نندم نحن على تصرفاتنا هذه كآباء وأمهات. ولكن في وقت لا ينفع معه الندم.

إن الله يا سيدتي يحبنا جدا حتى أنه بذل يسوع المسيح كلمته الأزلي لكي يفدينا من عقاب الخطية الذي هو الموت والانفصال الأبدي عنه تعالى. وحتى كل من يؤمن بيسوع المسيح الفادي ينال الخلاص والغفران الأكيد عن خطاياه وتعود الشركة الحية والصلة بينه وبين الله تعالى. لكن الله لا يجبر أحدا منا على أن نُقبل إليه ونؤمن بيسوع المسيح. إنه يريد أن الإنسان يختار طريق الحياة فيحيا. هو لا يجبرنا على التوبة إذا لم نكن نريد ذلك. فهل نعمتِ سيدتي بمحبته وحصلت على الغفران لخطاياك؟ وهل تتمتعين بشركة وعلاقة حية مع الله تعالى؟ هكذا يجب أن تكون علاقتنا بأولادنا أيضا. علاقة محبة وانسجام وشركة وليست علاقة جبرية أو فرضية. فهل نتعلم من أبينا السماوي؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service